سلسلة

كليلة ودمنة للأطفال

النّاسك وابن عرس

بقلم أ/ محمد محمد العبد

رسوم وإخراج / هشام حسين

الناشر

دار الصحابة بطنطا

للنشر - والتحقيق - والتوزيع

شارع المديرية - امام محطة بنزين التعاون ت/٣٣٣١٥٨٧ تليفاكس/٣٣١٢٢٧١ص.ب ٤٧٧

977 – 272 – 687 – 4/ I.S.B.N

الطبعة الأولى ١٩٩٩م - ١٤٢٠هـ

موقعنا على الانترنت : WWW.DSAHABA.COM



قصّة: الناسك وابن[1] عِرْس.

يُحكى أنَّ ناسكاً [2] من النُّسَّاكِ كانَ يُقيمُ بأرضِ (جُرجَان).

وكانَ هذا النَّاسكُ قد بنَى بيْتاً في مكانٍ بعيد عن العُمْرانِ، وأقام مسجداً بالقربِ منْ بيْته، وكثيراً ما كانَ يترددُ على المسْجدِ، عابداً متزهداً.

ـ وقدْ عَرفَ النَّاسُ عنْه الورعَ والتقوى، فكانوا يتردَّدون على هذا المسْجد، لأداءِ الصَّلاة في حينها، وارتضَوْا هذا النَّاسكَ إماماً يُؤمُّهم في الصَّلاة.

---

(١) ابن عِرْس: دويبة كالفأرة تفتك بالدجاج ونحوه، والجمع: (بنات عِرْس).
(٢) النَّاسك: المتعبد المتزهد.

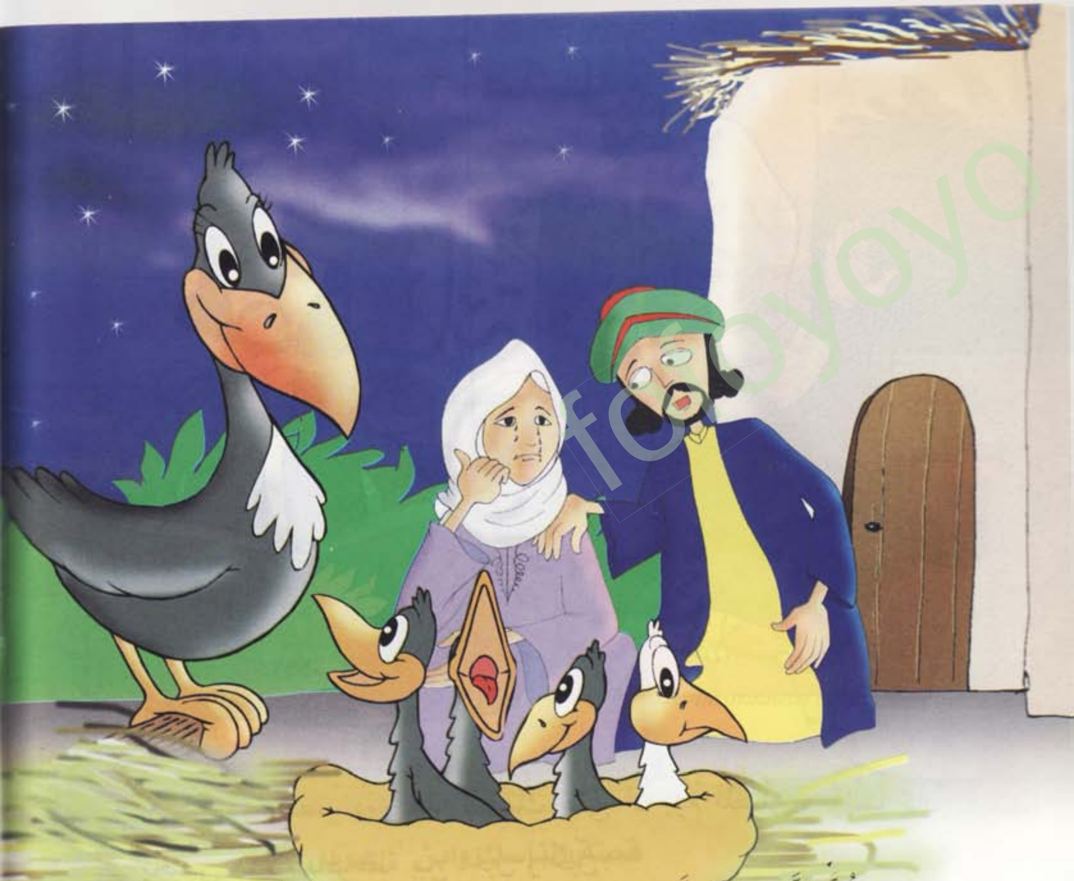


- ولمْ يقْتصرْ دوْرُ هذا النَّاسكِ على أنْ يؤُمَّ المُصلِّين، وإنَّما كانَ يختصُّ هؤلاء بالموعظة بيْن الحين والحين.

- وكانَ للنَّاسك زوجةٌ صالحةٌ، اختارَها لصلاحها ولدينها، فكانتْ نعْم الزَّوجةُ، وقد اهْتدى فى اخْتيارها بالحديث الشريف:

«تُنكحُ المرأة: لجمالها، ومالِها، وحسَبِها، ودينِها فاظفرْ بذاتِ الدِّين، تربتْ يداك».

- هذه الأمورُ الأربعةُ: الجمالُ، والمالُ، والحسبُ والدِّين، هى الأمورُ التى تُختارُ على أساسها الزَّوجةُ، وأفضلُها هو الاختيارُ على أساسٍ من الدِّين؛ لأنها ستكون أمينةً على بيْت الزَّوجيةِ، مشرفةً على تربيةِ أولادها، الذين هُم عمادُ المستقبْلِ، والمدافعون عَن الوطنِ.



- ثُمَّ إنَّ زوجةَ النَّاسِك، مضى على زواجِه منها مُدةٌ طويلةٌ، ولم تُنجبْ فكانتْ تقضى أوقاتَها كئيبةً حزينةً.

- وكانَ النَاسكُ حينما يقع بصرُه عليها ويراَها على هذه الحَالِ، يُشفقُ عليها، ويدعُوها إلى الصَّبرِ، والتسليمِ بقدرِ الله.

- وكانَ النَّاسكُ دائم التذكيرِ لزوجَته، بما وردَ فى القرآن الكريم، فى هذا الشَّأن:

﴿ لله ملكُ السَّموات والأرْضِ يخلُقُ ما يشاءُ يهَبُ لمَن يشَاءُ إنَاثًا ويهبُ لمَن يشاءُ الذُّكُورَ (٤٩) أوْ يزوِّجهُمْ ذُكرانًا وإناثًا ويجعلُ من يَشاءُ عقيمًا إنَّهُ عليمٌ قديرٌ (٥٠) ﴾[1].

---

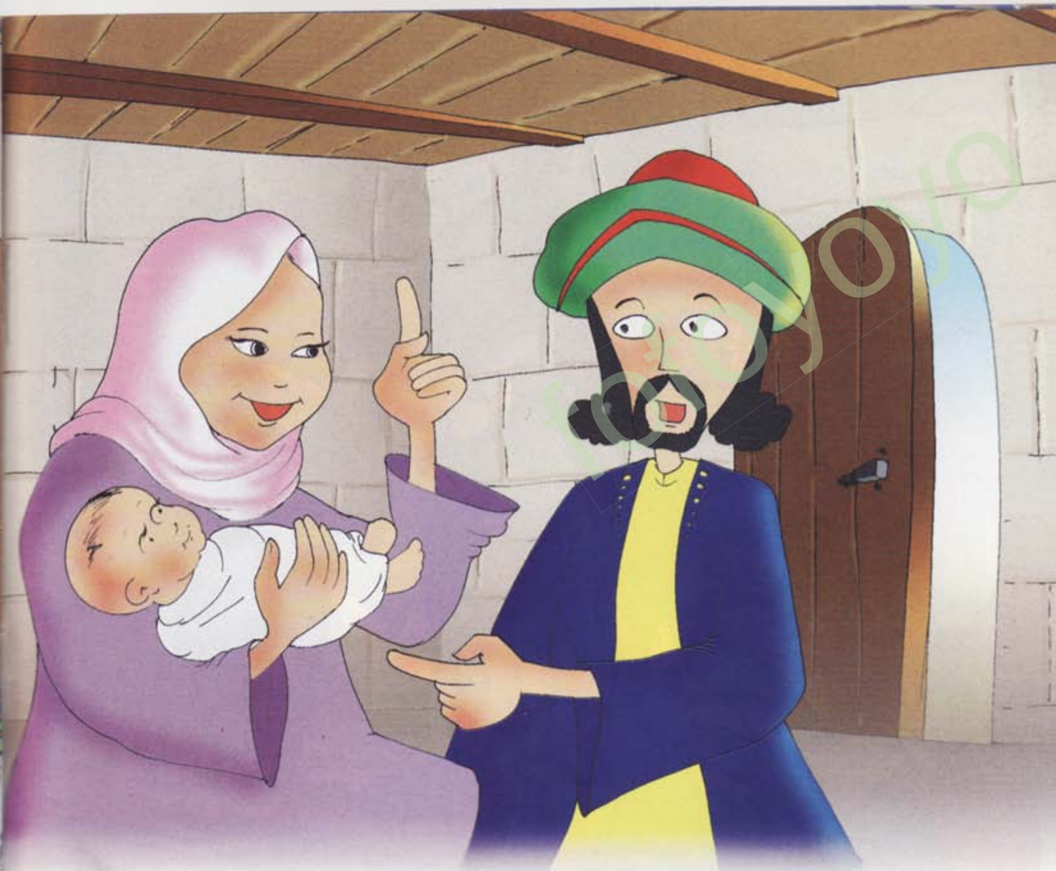
(١) سورة الشورى: الآيتان: ٤٩، ٥٠



- وشاعتْ قدرةُ اللهِ سُبحانه - أنْ يُرزقَ النَّاسكُ منْ زوجته طفلاً جميلاً، بعدَ طُول ترقُّب وانتظار، فأشاعَ فى حَياةِ الوالديْن البهجةَ بعدَ اكْتئاب، والفرحة بعدَ حُزْن.

وكانَ تتويجاً لحياة زوجيَّة استمرَّتْ سنينَ طويلةً دُون أنْ يكونَ هناكَ بارقةُ أملٍ فى الإنْجابِ.

- سجدَ النَّاسكُ شكراً لله على أنْ منَحهما هذا المولودَ، وتمنَّى أنْ يشبَّ على الصَّلاح، والأخلاقِ الكريمةِ، وأنْ يكونَ باراً بوالديْه، عِوَضاً لهما عَنْ سنواتِ الترقبِ والانتظارِ.



ـ نظر النَّاسكُ إلى زوْجته، فرآها تحتضنُ طفلَها فى لهْفة وشوْق، فكانتْ تشعُّ منْ عيْنيه أماراتُ البهْجة والسُّرور، وكثيراً ما كانَ يُحدِّثُها بشأنِ هذا الطِّفْلِ، وأنَّه يرجوأنْ يُحققَ فيه أُمنيات لمْ يتمكَّنْ هُو من تحقيقها لنفسه، فكانتْ الزَّوجةُ الصَّالحةُ تُطالبه بعدمِ التسرُّعِ فى أمورٍ، لا يملكانِ منْها شيئاً.

ـ وأنَّ على زوْجها أنْ يكون أكثر تفاؤُلاً، وأنْ يُفوِّضَ الأمرَ ـ دائماً ـ إلى الله يُدبِّرُ بمشيئته ما يريدُ وما عليْنا إلاَّ الامتثالُ، لإرادتهِ ومشيئتهِ.



- ولكى تبيِّن هذه الزَّوجةُ لزوجها أنَّ العَجلة (١) تُورثُ النَّدامَة، وأنَّ التسرُّع عواقبهُ (٢) غيرُ مأمُونة، أخذتْ تقصُّ عليه القَصصَ، وتضربُ له الأمثالَ، فى نتائجِ التسُّرعِ وعواقبِ العجَلة فى الأمورِ، ليتعظَ بها، ويتخذَ منها عبْرةً.

- قالت الزَّوجةُ لزوجِها النَّاسكِ وهُو يُنصتُ إليها باهْتمام:

يُحكى أنَّ ناسكاً قد اشتهرَ أمرُه بالتعبُّدِ والتزهُّد، وكانَ بينه وبينَ أحدِ كبارِ التُّجارِ صَداقةٌ متينةٌ، ازْدادتْ قُوَّةً على مَرِّ الأيَّامِ والأعوامِ.

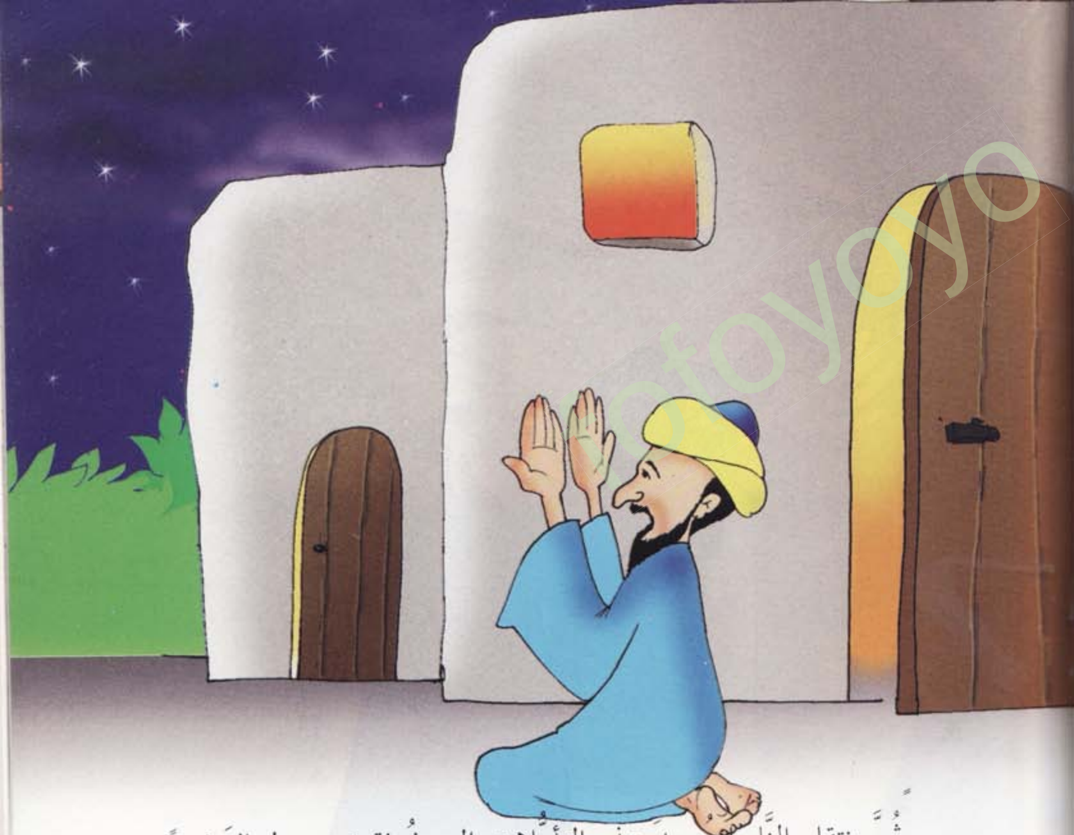
(١) العجلة: التَّسرع فى الأمور. (٢) عواقبه: نتائجه



- وكانَ لهذا النَّاسك بيْتٌ صغيرٌ يأْوى إليه ويتخذُ منه سكناً، يقْضى فيه ليلَهُ، وشطْراً مِنْ نَهارِه.

- وكانَ لهذا البيْت فناءٌ واسعٌ يُضْفى عليه جواً من الهُدوء والرَّاحةِ، فكانَ هذا النَّاسكُ يجدُ مُتعته فى الجلُوسِ فى رحَابه، والتأملُ فى صفحة السَّماء ليلاً، حيثُ الكواكبُ المُضيئةُ، والنجومُ المُتناثرةُ، هُنا وهُناكَ.

- وكان هذا النَاسكُ يقْضى بفناء بيْته شطْراً منَ اللَّيل - كعادته - مُتأملاً فى الطَّبيعة، سابحاً بفكره، فى القُدرة الإلهية، التى أوجدتْ هذا الكوْنَ مِنْ عدمٍ، ورفعتْ السَّماءَ - هذا المخلوق العظيم - منْ غير أعْمدة، أو منْ أعمدةٍ غيرِ مرئْية، لمنْ يتأمَّلها منَ البشرِ.



- ثُمَّ ينتقل النَّاسك بعدَ هذه التأمُّلات إلى غُرفة نومه، لينالَ فترةً منَ السُّكون والرَّاحة حتَّى إذا اقْتربَ مُنتصَفُ اللَّيل، قامَ منْ نوْمه مُسْرِعاً لصلاة التهجُّد، وهى صَلاةُ اللَّيلِ.

- **﴿ تتجافى جنُوبُهُم عن المَضاجعِ يدْعُون ربَّهُمْ خوفًا وطَمَعًا ومِمَّا رزقْناهم ينفِقون ﴾**(١).

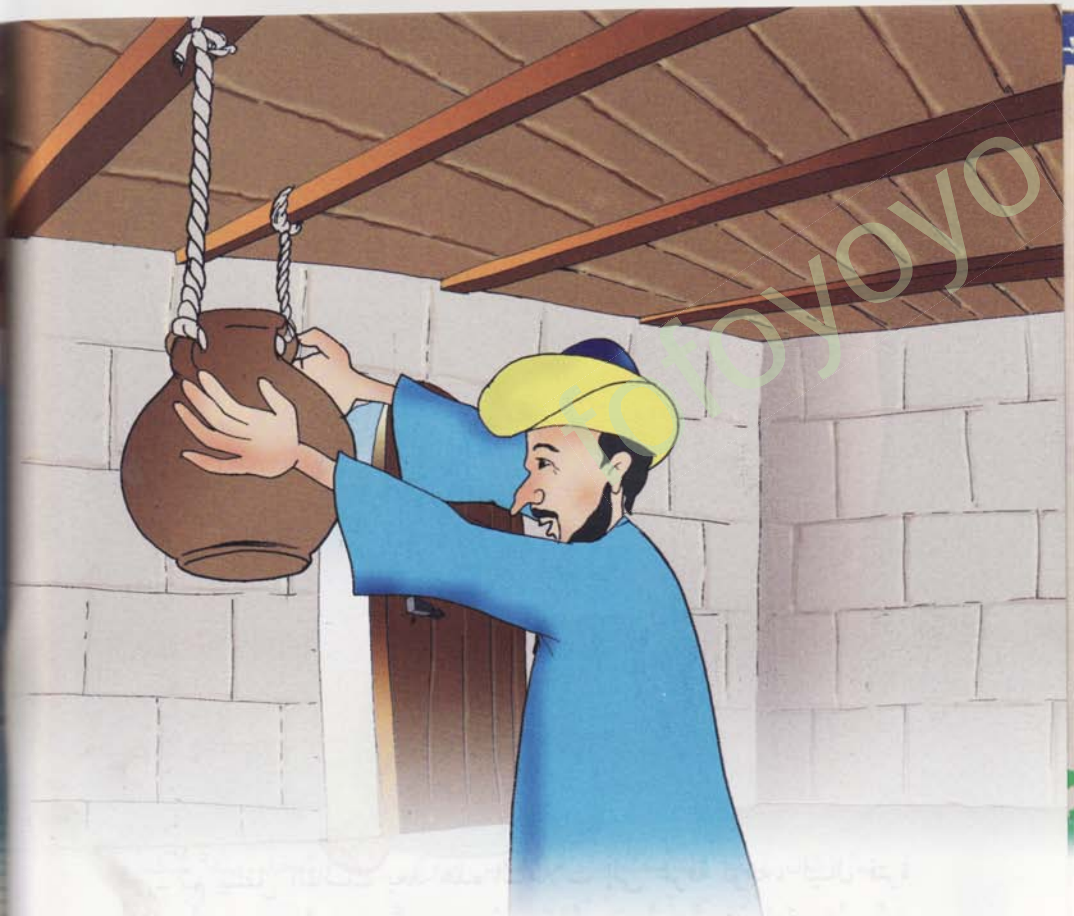
هذه هى صفةُ المتعبِّدين المتزهِّدينَ، الَّذين لا ينامُون إلاَّ القليلَ من اللَّيل، أمَّا سائرُ اللَّيل فهو فى استغفارٍ ودُعاء وصلاة.

﴿ كانُوا قليلاً من اللَّيل ما يهجعون(٢)، وبالأسحارِ هُمْ يسْتغفرون، وفى أمْوالهم حَقٌّ للسائِل والمحروم ﴾.

---

(٣) سورة السجدة الآية: ١٦.

(١) يهجعون: ينامون.



ـ ثُمَّ قالتْ الزَّوجةُ الصَّالحةُ لزوْجِها:

وهكذا كانتْ طريقةُ هذا النَّاسك فى عبادته، ومسلكه فى تزهُّده، وقد عرفَ عنه صديقُه التَّاجر كُلَّ هذا، فكان يُرسلُ إليه كُلَّ يومْ نصيباً من السَّمْنِ والعَسلِ.

ـ ولَمَّا كانَ هذا النصيبُ كبيراً، فقد استْطاعَ النَّاسكُ أنْ يُخصِّص منه جزْءاً، لاحتياجاته اليوميَّةِ ويَدّخرَ الباقى فى جَرَّةٍ كبيرةٍ، تتسعْ لتخزينِ ما يتوفَّرُ لديْه.

ـ ولكى تكون هذه الجرَّة، فى مكانٍ يمنعُ عنْها أسْرابَ النَّملِ،

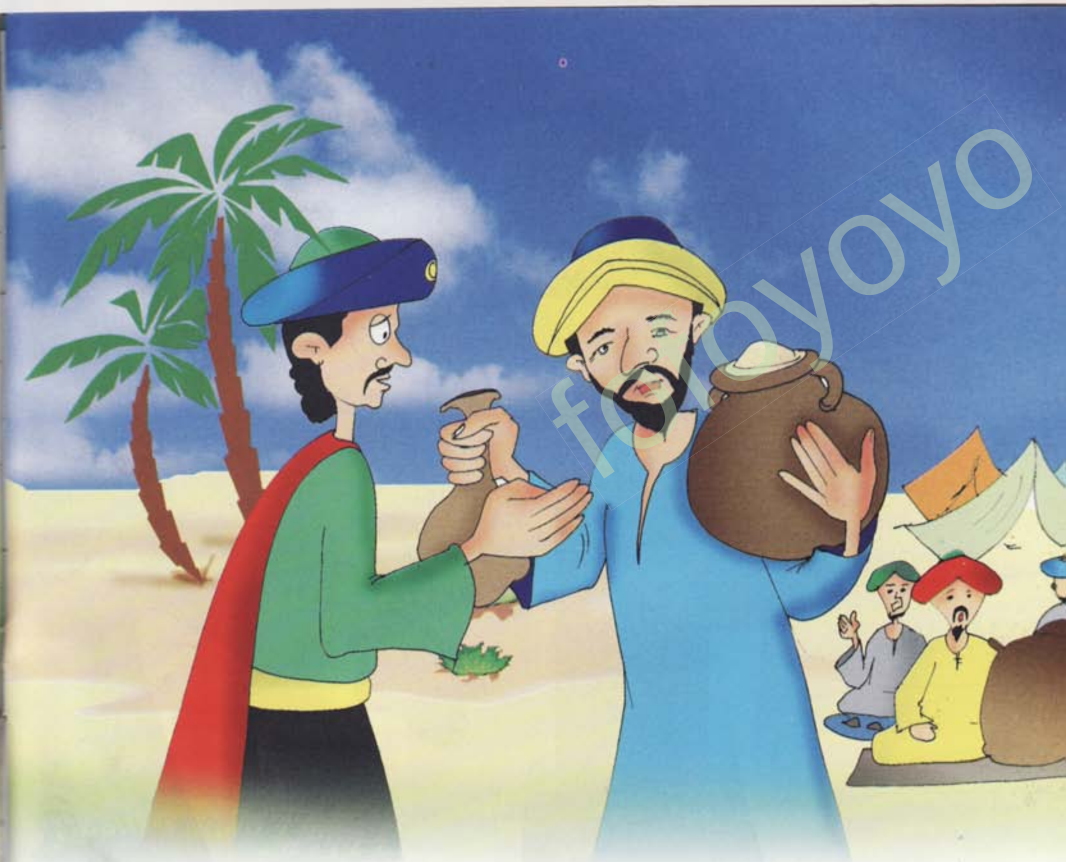


حتى لا تكونَ عُرْضةً للفسادِ فقدْ اختارَ لها الزَّاهدُ سقفَ الحجْرةِ التى ينامُ فيها.

- فثبّتَ فى سقْفِ هذه الحجْرةِ حبْلاً متيناً، وقامَ بربْطِ فُوَّهةِ الجرَّةِ بهذا الحبْلِ، وبذا استطاعَ النَّاسِكُ، أنْ يصونَ جرَّةَ السَّمنِ والعَسلِ من الفسادِ، ويحميها من السُّقوطِ.

- وظَلَّ النَّاسكُ يُزودُها، بما يتوفَّرُ لديه مِنْ السَّمْنِ والعَسلِ، حتى امتلأتْ إلى فُوَّهتها.

بحيثُ لمْ يُصْبحْ فيها مُتسعٌ لشيء يُصبُّ فيها.

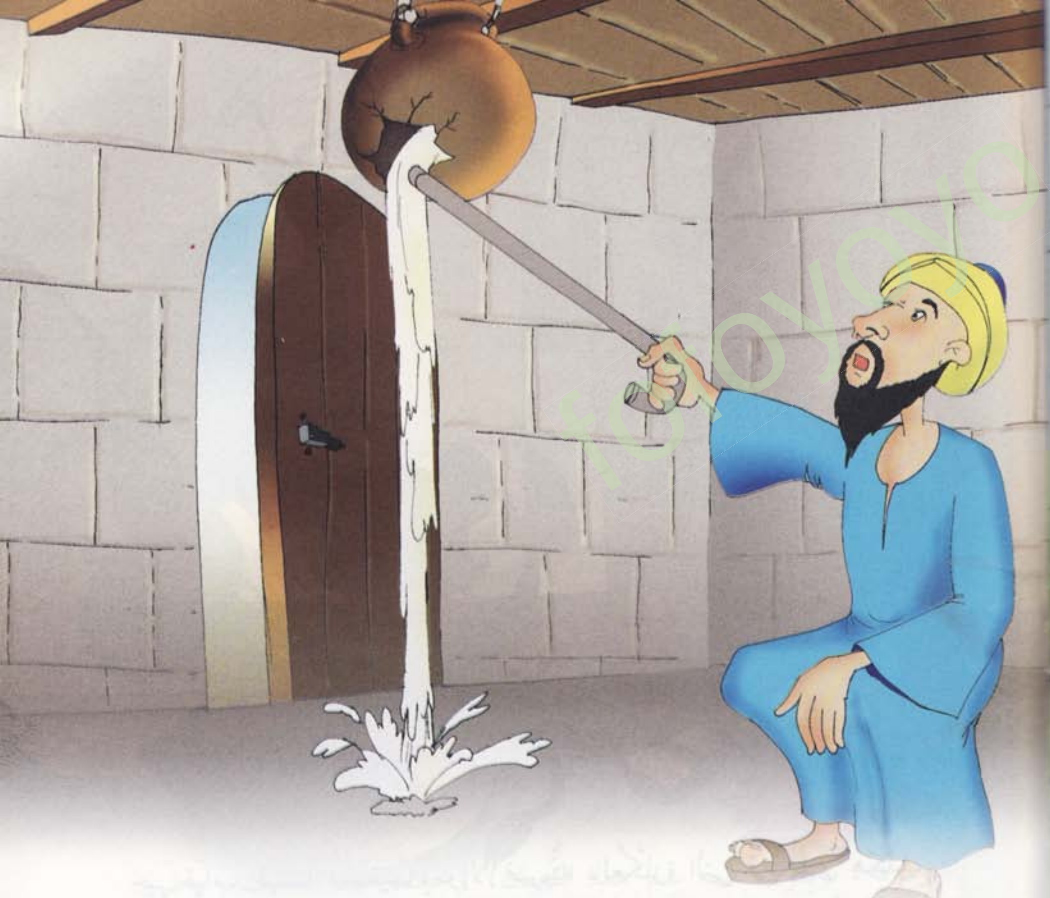


ـ كانَ النَّاسكُ فرحاً بهذه الجرَّة، مُسْروراً بما ادَّخرهُ فيها من سَمْن وعسلٍ، وكانَ لا يُمرُّ يومٌ، حتى يُلقى نظْرةً على الجرَّةِ، ويمنِّى نفسه بأمْنياتٍ عزمَ على تحقيقها، منْ وراءِ ثَمنِ هذه الجرَّة.

ـ كانَ دائمَ التفْكير، فيما سوْفَ يريدُ أنْ يعملَه إذا باعَ السَّمْنَ والعسلَ، وتمهَّلَ فى هذا الأمرِ، حتى لا يُصابَ بالنَّدمِ على ما أقبلَ عليه.

ـ وقديماً قالوا: «فى التَّأنى السَّلامةُ، وفى العجلَةِ النَّدامةُ».

ـ وذاتَ يومٍ استيقظَ النَّاسكُ مُبكراً.



ـ كعادته ـ فألقى نظْرةً على الجرَّة، المُعلَّقةِ فوقَه وقالَ فى نفْسه:

ـ إذا أنَا بعتُ ما فى هَذه الجرَّة، منْ سمْنٍ وعسلٍ بمائة دينار، فسوفَ أقومُ بشراءِ عشرينَ عنزة، ثمَّ إنَّ هذه الأعْنز تلدُ ويكثرُ إنتاجها شيئاً فشيئاً، ثُمَّ أبيعُ أولادها، وأشْترى بثَمنها مجموعةً من الأبْقارِ، فتلدُ هى الأخرى، فأشْترى بثمنها أرضاً خصْبة، أقومُ بزراعتِها، فأصبحَ من الأغْنياء.

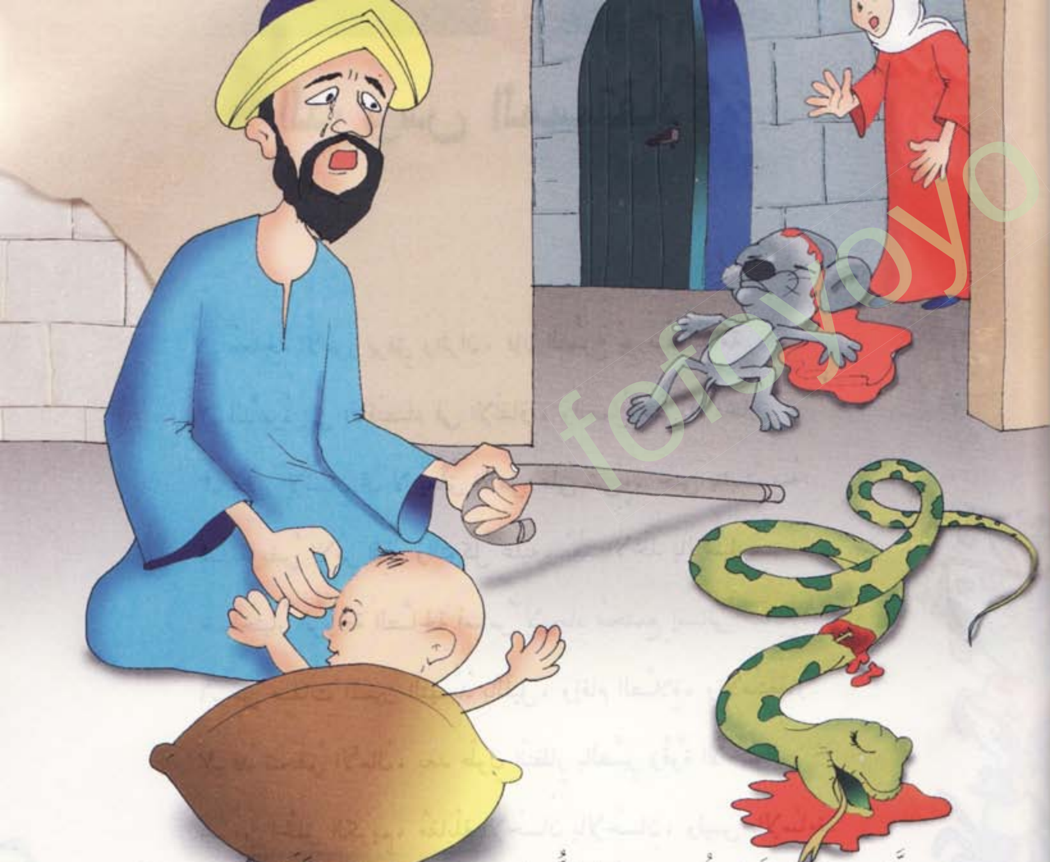
ـ ثُمَّ أتزوَّجُ بامرأة صَالحة جميلة، فتلدُ لى غُلامًا أقومُ بتربيته



خيرَ قيامٍ، فينشأَ مُستقيمًا، وإلاَّ ضربتُه بالعُكَّازة التى فى يدى هكذا، فأصابتْ العُكَّازةُ الجرَّة فانكسرتْ، وسالَ ما فيها على الأرْضِ من سمْنٍ وعَسلٍ.

- وبينما كانَ النَّاسكُ وزوجته يجلسان، ومَعهما طفلهُما أرادتْ الزَّوجةُ أنْ تغتسلَ، وتركتْ الطفلَ فى رعاية زوْجها فجاء رسولُ الملك يدعُوه للحضُورِ، فترك الطفلَ فى حِراسة (ابْن عِرس)، الَّذى يُقيم عندهمْ فى المنْزل.

- انصرفَ النَّاسكُ لمقابلة الملك، وفى هذه الآونة ظهرَ ثعبانٌ كبيرٌ، وما كادَ يقتربُ منَ الطفلِ حتى وثَب عليه (ابْن عرْس)، فقتله



ومزَّقه، وتلوثَ فمهُ بدم هذا الثُّعبان، وحينما عادَ النَّاسكُ، وطرقَ البابَ، قابله (ابْنُ عرس) فرِحاً، لأنه قام بَواجبه نحوَ حراسةِ الطِّفْلِ، فى غيابِ صاحبِ البيتِ.

- ولكن النَّاسك عاجلَ (ابْنَ عِرْس) بضرْبةٍ على رأسه فمات ظناً منه أنَّه قتلَ ولدَه.

- ثُمَّ دخلَ إلى حُجرةِ ولده، ليجدَه سليماً، وحولَه الثُّعبانُ الَّذى مزَّقه (ابُن عرْس)، فنَدِم على ما فعلَ، وقصَّ على زوجته ما حدَث، فحزِنتْ حُزْناً شديداً، وقالتْ لزوجها: حقاً (إنَّ فى التأنِّى السَّلامةَ، وفى العجلةِ النَّدامة).

الدروس المستفادة

١ـ مُعالجةُ الأمورِ برفقٍ واتزان، فإنَّ التسرُّعَ يُورثُ النَّدامة.

٢ـ الدَّعوةُ إلى الاقتصادِ في الإنْفاقِ، والعملُ على الادِّخارِ.

٣ـ على الإنْسانِ أنْ لا يُعلِّقَ الأملَ على شيءٍ، حتى يتثبتَ منهُ.

٤ـ تفويضُ الأمْرِ للهِ، والتوكُّلُ عليه، بَعْدَ الأخْذِ بالأسْبابِ.

٥ـ اخْتيارُ الزَّوْجة الصَّالحة أساسٌ لإيجادِ مُجتمعٍ إنسانيٍّ صَالحٍ.

٦ـ مِنْ صِفاتِ المتقين التهجُّدُ باللَّيل، وإقام الصَّلاةِ، والاسْتغفارُ.

٧ـ قدْ تتحققُ الآمالُ، بعد طُولِ انْتظارٍ بالصَّبرِ وقُوَّةِ الاحْتمالِ.

٨ـ مِنَ الخُلقِ الكَريمِ، مُقابَلَةُ الإحْسان بالإحْسانِ، وليسَ بالإسَاءةِ.

٩ـ أخْذ العِبْرة والعظةِ، ممَّا يحدُثُ للآخرينَ، والاستفادةُ من تَجاربهم.

١٠ـ النَّدمُ لا يُفيدُ شيْئاً، بعْدَ فَواتِ الأوانِ، وأساسُه التسرُّعُ في الأمُورِ.

